المشرق

مؤسّسها الأب لويس شيخو اليسوعيّ
عام ١٨٩٨

السّنة الثّانية والثّمانون الجزء الأوّل كانون الثاني - حزيران ٢٠٠٨

AL-MACHRIQ

Revue semestrielle culturelle
fondée par
les Pères de la Compagnie de Jésus
en 1898

LXXXII^e Année N° 1 Janvier - Juin 2008

Lecture libanaise de la théologie contextuelle, par Antoine Fleyfel.

Cet article a pour but de faire connaître au lecteur arabe un courant théologique quasi inconnu en Orient, celui de la théologie contextuelle. Pour définir ce courant, vaste et divers, l'A. a recours à deux théologiens, Zorn et Bevans. Après avoir vu comment Zorn définit la théologie contextuelle, c'est-à-dire par opposition à l'inculturation, il utilise la définition de Bevans pour critiquer cette première définition, et pour comprendre davantage la contextualisaton. C'est à partir de ces résultats que l'on pourrait effectuer une tentative de théologie contextuelle libanaise qui

concernerait les différentes Eglises. Une telle réflexion trouve son point de départ dans le contexte libanais, se laisse inspirer par l'histoire de la théologie contextuelle et prend en considération l'œcuménisme et le dialogue interreligieux 51

قراءة لبنانيّة في اللاهوت السياقيّ

بقلم الدكتور أنطوان فليفل*

تهدف هذه المقالة إلى درس ثلاثة أمور تتعلّق باللاهوت السياقيّ (أو لاهوت السياق[1] Théologie contextuelle):

أوّلًا: محاولة أولى للتعريف عن اللاهوت السياقيّ استنادًا إلى مقالة للّاهوتيّ الفرنسيّ زورن (Zorn).

ثانيًا: محاولة ثانية للتعريف عن اللاهوت السياقيّ استنادًا إلى كتاب للّاهوتيّ الأميركيّ بيڤانز (Bevans).

ثالثًا: قراءة نقديّة لما استطعنا تحديده من مفهوم اللاّهوت السياقيّ، وعرض بعض الأفكار والاقتراحات التي منطقُها اللاهوتيُّ السياقيُّ شرقيٌّ لبنانيٌّ.

أوّلًا: اللاهوت السياقيّ

تكمن صعوبة التعريف عن هذا اللاهوت في كثرة التعاريف التي حاولت تحديده. وكثر اللاهوتيّون الذين فكّروا في هذا المفهوم وكانت

(*) دكتور في الفلسفة من السوربون (باريس). يُعدّ دكتوراه في اللاهوت بجامعة مارك بلوك (إستراسبورغ).

(١) أو «لاهوت المحيط». بالإمكان أيضًا استعمال تعبير «اللاهوت المحلّيّ»، لكنّني تجنّبته في هذه المقالة لما يوجد من فرق دقيق عند بعض اللاهوتيّين بين الـ«Contextual theology» والـ«Local theology».

نتيجة أعمالهم أن تتلاقى أحيانًا أو تتعارض في تعاريف مختلفة قليلًا أو تمامًا بعضها عن بعض، إضافةً إلى اللغط الذي يمكن أن يحصل بين مفهوم اللاهوت السياقيّ وبعض مفاهيم لاهوتيّة أخرى، متشابهة شكلًا ومختلفة مضمونًا.

إنّ التعبير الجديد المعروف بـ«اللاهوت السياقيّ» هو محاولة لاهوتيّة تمّت في سبعينيّات القرن الماضي. وإنّ هذه المحاولات تميّزت عن «اللاهوت التقليديّ» باهتمامها بالمحيط الذي يتبلور فيه اللاهوت. إنّ لاهوتيّو هذا التيّار يعتقدون أنّ «اللاهوت التقليديّ» لا يهتمّ كثيرًا بواقع التاريخ والمحيط والحضارة والثقافة لجهة أنّه مسرح العمل الإلهيّ أو أحد تجلّياته أحيانًا. فحقيقة اللاهوت لا يمكنها أن تكون حقيقة تتخطّى الطبيعة فقط (Supranaturelle) بل هي حقيقة من الطبيعة نفسها أيضًا (Naturelle). شهدت سبعينيّات القرن العشرين ولادة تعابير لاهوتيّة أخرى تحمل الهمّ نفسه، لكنّها تختلف بمنطلقاتها وطرقها: فمنها الانثقاف (Inculturation) والمحلّيّة (Indigénisation) والتكيّف (Adaptation)، إلخ. وهنا تكمن مشكلة التعريف عن لاهوت السياق أساسًا في أنّ بعض اللاهوتيّين يعتبرون أنّ هذه التعابير الجديدة كلّها تتشابه، أو حتّى إنّ ظهور هذا المفهوم أو ذاك ما هو إلّا مرحلة لاهوتيّة عابرة تحضّر لمجيء المفهوم اللاهوتيّ الذي يلخّص المفاهيم الأخرى ويبلّغها ملءَ دعوتها. ومثالًا على ذلك الاعتبار: إنّ مفهوم الانثقاف هو الذي يلخّص سائر المفاهيم الأخرى. إنطلاقًا من هنا فإنّ تفكير كهذا لا يخلو من الواقعيّة، إذ إنّ معظم المفاهيم اللاهوتيّة الجديدة التي برزت في السبعينيّات اضمحلّ إشعاعها نسبيًّا أو تمامًا، باستثناء لاهوت السياق والانثقاف، ومن الخطأ الفادح الخلط بين هذين المفهومين.

قليلون هم اللاهوتيّون الناطقون بالفرنسيّة الذين اهتمّوا باللاهوت السياقيّ. فعالم اللاهوت الفرنكفونيّ وبالأخصّ الكاثوليكيّ اهتمّ بتعبير الانثقاف ولربّما مردّ ذلك إلى أنّ الكنيسة الكاثوليكيّة تبنّت رسميًّا هذا

المفهوم وأنّ البعض يعتبر أنّ المفهومَيْن متوازنان. نبّه اللاهوتيّ الفرنسيّ البروتستانتيّ زورن من مغبّة الخلط بين لاهوت السياق ولاهوت الانثقاف(٢) قارنًا ذلك بالاختلاف الجوهريّ الكامن بينهما. فلاهوت السياق يرتكز على الماهيّة البروتستانتيّة، أمّا لاهوت الانثقاف فيعتمد على الماهيّة الكاثوليكيّة. ويستند زورن إلى اللاهوتيّ تيليتش (Tillich) الذي بلور مفهوم الماهيّتَيْن، كما يعتبر أنّ لاهوت السياق يتبنّى التوتّر الكامن بين الله والمحيط، أمّا لاهوت الانثقاف فإنّه يبغي حلّ هذا التوتّر. إنّ الماهيّة الكاثوليكيّة تركّز على التجسّد الذي يدمج الكلمة في الثقافة في حين أنّ الماهيّة البروتستانتيّة تركّز على الفصل بين الله والعالم: لأنّ العالم خاطئ وهو ليس من الله (لاهوت إنجيل يوحنّا). فإذا كان لاهوت الانثقاف يركّز على الطبيعة (التعليم الكاثوليكيّ التقليديّ عن معرفة الله الطبيعيّة) فإنّ لاهوت السياق يركّز على النعمة لأنّ العالم خاطئ وهو يحتاج إلى تبرير (الرسالة إلى أهل رومة). أضف إلى ذلك مفهوم «التحرير» الذي تتعامل معه الكنيسة الكاثوليكيّة بكثير من التحفّظ من جرّاء البُعد السياسيّ المباشر المرتبط به.

تبرز أهمّيّة عمل زورن في محاولته إبعاد أي خلط بين لاهوتَي السياق والانثقاف. ورغم أنّه يعترف أنّ ثمّة كاثوليكيًّا يمكنه العمل بحسب لاهوت السياق وأنّ ثمّة بروتستانتيًّا يمكنه العمل بحسب لاهوت الانثقاف، إلّا أنّه يميّز بين الاثنين بإعطاء كلّ منهما صبغة خاصّة به إمّا بروتستانتيّة أو كاثوليكيّة. أمّا نحن فلا نوافقه على ذلك لجهة أنّ واحدة من أهمّ التجلّيات اللاهوتيّة السياقيّة المعاصرة وجدت عند الكاثوليك، أعني بذلك «لاهوت التحرير» الذي ظهر في أميركا الجنوبيّة. كما أنّ كتاب بيڤانز الذي سنتناوله لاحقًا يتعارض أيضًا مع هذا التقسيم.

يحدّد زورن لاهوت السياق بما يلي: إنّه لا ينطلق من المقولات

---

(٢) J.-F. Zorn, «La contextualisation un concept théologique», in *Revue d'Histoire et de Philosophie Religieuses*, 1997/2, p. 171-189.

اللاهوتيّة المبهمة، بل من الحقيقة اليوميّة المعاشة والتي تهتمّ بما هو غير لازم الوجود (Contingence) في اللاهوت ولا تفهم هذه المقولة إلّا في ضوء الحوار المستمرّ بين الكتاب المقدّس (باعتباره أساسًا) والمحيط (باعتباره هدفًا). إنّ هدف العمل اللاهوتيّ والكتاب المقدّس هو المحيط. يعمل اللاهوت السياقيّ على إبراز لاهوت خاصّ لكلّ محيط من دون وضع الحقيقة اللاهوتيّة الشاملة جانبًا. فلغة لاهوت السياق ليست أكاديميّة بل هي مبسّطة وقريبة من الناس. وأخيرًا، يتجنّب لاهوت السياق أيّ خلط بين الله والمحيط عبر التفكير في مفهوم التجسّد الذي هو محور كلّ فكر لاهوتيّ.

مهمّ هو فكر زورن وقد استشهدتُ به لأنّه يتيح لنا فهم لاهوت السياق ويميّزه عن لاهوت الانثقاف. لكنّ مشكلة تحديد زورن تكمن في وضع لاهوت السياق ضمن إطار الفكر البروتستانتيّ ممّا يحدّ من دعوة طريقة التفكير اللاهوتيّ هذه. لدى اللاهوتيّ الأميركيّ الكاثوليكيّ بيڤانز تحديد أشمل للّاهوت السياقيّ سأستخدمه كمحاولة ثانية لتحديد هذا اللاهوت: «إنّ لاهوت السياق هو طريقة لاهوتيّة تأخذ بالاعتبار روح الإنجيل ورسالته، والتقليد الكنسيّ؛ وفي الثقافة المعنيّة بالفكر اللاهوتيّ تغيّرات متعلّقة بالثقافة الاجتماعيّة الناتجة إمّا عن التكنولوجيا الغربيّة أو عن البحث عن العدالة، كذلك عن الحقّ وعن التحرّر»(٣). على عكس اللاهوت التقليديّ الذي يستوحي عمله من ماهيّتين، هما الكتاب المقدّس والتقليد الكنسيّ، بالإضافة إلى أنّ في لاهوت السياق ماهيّة ثالثة هي المحيط الذي يُعتَبَر مفهومًا متساويًا للماهيَّتَيْن الأُولَيَيْن.

ثانيًا: عرض كتاب اللاهوتيّ الأميركيّ إستفان بيفانز: «أمثولات في اللاهوت السياقيّ»

إنّ مقاربة بيڤانز للاهوت السياق مختلفة، فهو لا يضع هذا

(٣) Stephen Bevans, *Models of Contextual Theology*, Orbis Books, New-York, 2002, p. 1.

اللاهوت كما يفعل نظيره زورن، أي في موقع معارض للانثقاف، بل يعطيه دعوة شاملة تضمّ في خضمّه كلّ أنواع المحاولات اللاهوتيّة الأخرى التي تُولي المحيط اهتمامًا أساسيًّا في بحثها. فيصبح بذلك لاهوتُ السياق عنوانَ كلّ محاولة لاهوتيّة تنطلق من المحيط، تمرّ به أو تنتهي عنده. ففي رأي بيڤانز، إنّه يعتبر أن ليس من لاهوت أحديّ يُكنّى بلاهوت السياق، لكن عدّة أنماط من العمل اللاهوتيّ تدور كلّها بفلك لاهوت السياق. تطوَّر فكر بيڤانز مع السنين وانتهى في آخر المطاف إلى التكلّم على ستّة أنواع، أنماط أو تيّارات من لاهوت السياق يختصرها اللاهوتيّ الأميركيّ في آخر طبعة من كتابه: **أمثولات في اللاهوت السياقيّ** (*Models of Contextual Theology*).

قبل التطرّق إلى أمثولات اللاهوت السياقيّ، يحدّد بيڤانز الطريقة التي يجب اعتمادها في لاهوت السياق قائلًا إنّها ليست بالضرورة أكادميّة، وهنا يعطي بيڤانز مَثَل لاهوت مار أفرام الذي هو شعريّ وشعبيّ ويستند أيضًا إلى التقليد القديم القائل: «شريعة الإيمان شريعة الصلاة». ومردّ ذلك إلى أنّ لاهوت السياق لا يعني فقط الأكادميّين بل كلّ مؤمن يؤدّي دورًا ثقافيًّا فاعلًا في الجماعة. واللاهوتيّ المتمرّس يؤدّي دور استجماع الأفكار وتنظيمها، وهنا ما يعجز عنه إجمالًا غير اللاهوتيّ. لكنّ لاهوت السياق هو مسألة تخصّ كلّ مؤمن فاعل في جماعته وثقافته. إضافة إلى أنّ لاهوت السياق هو عمل أبناء المحيط. هذا لا يعني أنّ الغريب عن المحيط لا يستطيع إفادة لاهوت السياق بفكره، لكن مَن يتكلّم على المحيط بالشكل المناسب هو ابن المحيط. لا يمكن فرنسيًّا قضى حياته في الغرب أن يبني لاهوتًا سياقيًّا لبنانيًّا ملائمًا لأنّ خبرة الحياة في المحيط تنقصه وهي الأساس. وعلى اللاهوتيّ السياقيّ أن يحرص على استقامة الإيمان(٤) وأن يتجنّب

(٤) تترجم استقامة الإيمان بخمسة أمور يجب احترامها: أ - ثوابت الإيمان الأساسيّة، ب - إمكانيّة ترجمة اللاهوت البيئيّ إلى صلاة، ج - إستقامة الممارسة (Orthopraxie)، د - الانفتاح على لاهوتيّين آخرين وكنائس أخرى بهدف=

الوقوع في فخّ الخلط بين المسيحيّة والمحيط، فالإيمان المسيحيّ شيء ومقوّمات المحيط شيء آخر. علمًا أنّ المحيط الذي عليه التعامل معه هو المحيط الحاليّ حيث يعيش حاليًّا وليس محيطًا ماضيًا.

أ - نموذج الترجمة (Translation model)

إنّه النموذج الأكثر استعمالًا في لاهوت السياق لدرجة أنّ بعضهم يعتقد أنّه يختصر لاهوت السياق. وتقضي طريقة هذا النموذج بترجمة ما هو أساسيّ في الإيمان المسيحيّ عبر أقلمة الرسالة المسيحيّة بشكل خارجيّ مع المحيط. تكمن وحدة هذا النموذج في الإصرار على أنّ الرسالة الإنجيليّة لا تتغيّر، والاعتبار أنّها ثابتة على مرّ الزمن على عكس المحيط. تجدر الإشارة إلى أنّ هذا النموذج لا يتناول المحيط إلّا بقدر ما يمكنه الاستفادة منه لترجمة الرسالة المسيحيّة. وما عدا ذلك، فهو لا يهتمّ لقيمة المحيط بحدّ ذاته.

لا يعني اسم هذا النموذج أنّ الترجمة بين الإيمان والمحيط يجب أن تكون حرفيّة، فالترجمة هي ترجمة معنى الإيمان المسيحيّ وماهيّته. فما هو أساسيّ في الإيمان يتخطّى المحيط (Supracontextuel) ويتخطّى الثقافة (Supraculturel)، لذلك يجب ترجمته بلغة تلائم المحيط لكي يُفهَم. إنّ منطلق نموذج الترجمة هو منطلق من خارج الثقافة التي تُعتبر ثانويّة نسبة إلى الرسالة الإنجيليّة. لا تخلو مقاربة نموذج الثقافة هذا من بعض المغالطات بشكل خاصّ لأنّ هذا المنطلق يعتبر أنّ منطق تركيب الثقافات كلّها يتشابه وبالإمكان ترجمة الرسالة الإنجيليّة بالطريقة عينها نسبة إلى البيئات كافّة. وقد تكمن أهمّيّة هذا النموذج في التركيز على الهويّة المسيحيّة التي بإمكانها إعطاء الكثير لهذا «العالم المظلم»، لكنّ ضعفه (النموذج) يكمن في عدم تناوله المحيط بشكل أوفر جدّيّة.

=النقد الذاتيّ والتعلّم من خبرة الآخرين؛ وهنا يأتي دور السلطة الكنسيّة التعليميّة للتحذير من الهرطقة، ح - قدرة الحوار مع تيّارات لاهوتيّة بيئيّة أخرى.

مثالًا على هذا النموذج يذكر هنا بيڤانز اللاهوتيّ هيسيلغرايف[٥] الذي يريد إخراج الكتاب المقدّس من بيئته لكي يتمكّن المرسل من التعبير عن ماهيّة الكتاب المقدّس على نحوٍ يلائم بيئة رسالته وتبشيره. كما يَذكُر يوحنّا بولس الثاني ويسمّي لاهوته «انثقافًا» وهو يبغي تحويل القِيَم الحضاريّة عبر دمجها بالمسيحيّة.

ب - النموذج الأنطروبولوجيّ (Anthropological model)

على نقيض نموذج الترجمة الذي يركّز على الهويّة المسيحيّة، فالنموذج الأنطروبولوجيّ يركّز على الهويّة الحضاريّة، لأنّ الأهمّ في المسيحيّة هو تحقيق الذات الإنسانيّة، وإنّ بذور حقيقة الكلمة موجودة في الثقافات كما في باقي الديانات مع العلم أنّ ملء الوحي يكمن في المسيحيّة. تشكّل الثقافة إطارًا يساعد على فهم إنجيل الله على نحوٍ أوضح. فإنّ هذا النموذج يكنّى إذن بالنموذج الأنطروبولوجيّ لأنّه يستند إلى علم الأنطروبولوجيا، وأيضًا لأنّه يركّز على «الإنسان» باعتباره صالحًا ومُنبَثقًا للقِيَم الأخلاقيّة ومُرتكَزًا للحكم على الأشياء. «الإنسان» هو مكان الوحي الإلهيّ وهو مرتكز للاهوت له ما للتقليد والكتاب المقدّس من أهمّيّة.

فانطلاقًا من أنّ الإنسان صالح، يُعتبر المحيط صالحًا وحاويًا لوحي الله الذي ليس رسالة تتخطّى المحيط بقدر ما هو رسالة تكوّنه. حضور الله الخلاصيّ ووحيه موجودان إذًا في كلّ محيط إنسانيّ. وملاقاة المسيحيّة والثقافة ليست لقاء نقيضَيْن، بل إنّها لقاء يغني الاثنين. إنّ منطلق النموذج الأنطروبولوجيّ هو الخبرة الإنسانيّة ضمن إطار ثقافيّ معيّن فريد من نوعه رغم التشابه الممكن أحيانًا مع ثقافات أخرى.

فبالنسبة إلى هذا النموذج، تتصدّر المسيحيّة ملء الإنسانيّة، وتكتسب خبرةُ الإنسان من خلال ذلك أهمّيّة كبرى. لكنّ خطر تفكيرٍ

---

(٥) David J. Hesselgrave, *Contextualization : Meannings, Methods, and Models*, William Carrey Library, California, 1989.

مشابه يكمن في عدم أخذ المسافة النقديّة اللازمة مع المحيط لا سيّما أنّ الماضي (التقليد والكتاب المقدّس) ليس له أهمّيّة كبرى.

يعطي بيڤانز مَثل اللاهوتيّ هود وهو قسّ من الكنيسة المشيخيّة الأميركيّة يركّز على دور الحضارة الأفريقيّة في فهم الإيمان المسيحيّ وبالأخصّ الكتاب المقدّس (مصر مثلًا). ويعتقد أنّ تعبيرًا إيمانيًّا ينبع من محيط غير إغريقيّ أو رومانيّ ممكن. أمّا الكاهن دونافان من جمعيّة الروح القدس فهو يميّز بين التبشير والإجابة عن التبشير الناتج عن فهم أبناء المحيط للرسالة الإنجيليّة. فالحوار بين الرسالة الإنجيليّة والمحيط يغني الاثنين.

ج - مفهوم الممارسة (Praxis model)

يركّز هذا المفهوم على الهويّة المسيحيّة التي تفهم في ضوء التغيّرات الاجتماعيّة. «لاهوت التحرير» هو من أبرز تجلّيات هذا المفهوم الذي يعتبر أنّ الله لا يتجلّى فقط في الثقافة لكن أيضًا في التاريخ. لتعبير praxis جذور عدّة، منها ماركسيّة يستوحي منها لاهوتيّو هذا المفهوم الذين هم أشدّ تركيزًا على استقامة الممارسة منهم على استقامة الإيمان.

تركّز قراءة لاهوت التحرير للكتاب المقدّس على جانب «النضال» من أجل الحرّيّة الإنسانيّة، على أنّ رسالة المسيح ليست بمبهمة، وعلى أنّه يجب عدم اعتماد حلول وسط مع الخطيئة. إنّ التغيير الاجتماعيّ الذي يسترعي انتباه هذا المفهوم بشكل خاصّ هو حاجة، فالإيمان لا يمكنه أن يكون حياديًّا من الناحية السياسيّة والاقتصاديّة.

أمّا الوحي فيُفهم كحضور الله في التاريخ، عبر أحداث الحياة اليوميّة، عبر البنى الاجتماعيّة والاقتصاديّة، في أوضاع الاضطهاد، وفي خبرة الفقراء والمنبوذين.

تكمن أهمّيّة هذا المفهوم في تأصُّله والتصاقه بالمحيط في حين تكمن مشكلته في قربه من الماركسيّة.

يذكر بيڤانز اللاهوتيّ هال وهو قسّ كنديّ يريد خلق لاهوت يتناسب وبيئة أميركا الشماليّة من منطلق التقدّم التكنولوجيّ والحياة اليوميّة. كما أنّه يأتي على ذكر لاهوتيّات من تيّار اللاهوت النسائيّ في آسيا ويشدّد على مفهوم تحرير المرأة عند هؤلاء النساء.

ج - المفهوم التوليفيّ (Synthetic model)

يستفيد هذا المفهوم ويستوحي من عدّة مفاهيم أخرى للّاهوت السياقيّ ويحاول إقامة توازن بينها. يعتبر بيڤانز أنّ موقع هذا المفهوم هو موقع وسط وذلك من خلال أنّه يحاول المحافظة على التقليد في حين يولي في الوقت نفسه أهمّيّة جدّيّة لمظاهر المحيط كافّة. ورغم أنّ هذا المفهوم يكنّى بالتوليفيّ، فهذا لا يعني أنّه مفهوم اصطناعيّ. فتوليفيّة هذا المفهوم ديناميّة على شكل الجدليّة الهيجيليّة.

ينطلق هذ االمفهوم من ثابتة طبيعة المحيط الإنسانيّ المركّبة. فلكلّ بيئة مقوّمات خاصّة بها ومقوّمات أخرى تتشاركها مع البيئات الأخرى. هذه الثابتة تعني أنّه يمكن كلَّ ثقافة أن تستفيد من مقوّمات ثقافات أخرى مع إبقائها على كيانها الذاتيّ وعلى فرادتها. بما أنّ الله يتكلّم في كلّ البيئات، الأجدى الإفادة من خبرة البيئات الأخرى مع الوحي الإلهيّ.

إنّ أهمّيّة هذا المفهوم هي في انفتاحه وفي مقدرته على الحوار، ممّا يدلّ على أنّ اللاهوت هو في حركة ديناميّة دائمة تتأثّر بتغيّرات البيئات وبالحوار القائم. لكنّ مشكلة انفتاحه تكمن في خطر الخلط بين البيئات المختلفة وعدم التفكير فيها على النمط الهيجليانيّ بل على نمط يجمع أعمال لاهوت السياق كما في عمليّة حسابيّة.

يذكر بيڤانز لاهوتيّين: كوياما وهو يابانيّ، وداميزا وهو فيليبّينيّ. أخذ الاثنان محيطهما منطلقًا للاهوتهما السياقيّ من دون الاعتماد على التيّارات اللاهوتيّة الكبرى (كمار توما مثلًا) واستفادا واستعانا بتيّارات لاهوتيّة بيئيّة أخرى.

هـ - المفهوم الاقتضائيّ (Transcendental model)

يستند هذا المفهوم إلى أنّ أمورًا كثيرة لا يمكننا فهمها من دون إحداث تغيير كامل في طريقة التفكير، تغيير في وجهة النظر وحتّى التوبة. وقبل إحداث هذا التغيير، عبثًا نحاول إيجاد جواب لسؤال طرحه سيِّئ. ما يهمّ هذا المفهوم ليس لاهوت السياق بحدّ ذاته ولكن عمل اللاهوتيّ الصانع للاهوت السياق كفرد صادق وتائب، قبل أن يُكتب، على لاهوت السياق أن يكون في حياة اللاهوتيّ.

يستمدّ هذا المفهوم جذوره من فلسفة كانط (Kant) ومن تيّارات فكريّة أخرى من القرن الماضي. فالواقع ليس ظاهرة خارجيّة بالنسبة إلى الإنسان، لأنّ فهم الواقع يبتدئ في ديناميّة إدراك الإنسان، في توقه إلى المعرفة. والموضوعيّة ما هي إلّا ثمرة الوعي الإنسانيّ. من منطلق هذا الوعي الصادق (Authentic conscience)، بإمكان اللاهوتيّ الإتيان بلاهوت سياقيّ مناسب.

بمعنى آخر، فإنّ جذور هذا المفهوم ليست في الكتاب المقدّس أو في التقليد ولا حتّى في المحيط، لكن في الوعي الاقتضائيّ (Transcendantal conscience) لدى كلّ إنسان، في خبرته الدينيّة وفي خبرته مع ذاته. ويلاقي الفرد الذي يعيش خبرة شخصيّة خبرات يتشاطرها مع آخرين يعيشون في المحيط نفسه. هنا يتجلّى الوحي الإلهيّ في خبرة حياة الإنسان المنفتح على كلمة الإنجيل، وعلى أحداث حياته اليوميّة والقيم الموجودة في ثقافة معيّنة. فالوحي ليس محتوًى بل حدثًا.

تبرز أهمّيّة هذا المفهوم في البحث عن صدقيّة اللاهوتيّ الذاتيّة في خبرته وبحثه اللاهوتيّ وأيضًا في اعتبار الوحي حدثًا. لكنّ الكثيرين انتقدوا هذا المفهوم قائلين إنّه كثير الإبهام إلى درجة أنّه من الصعب العبور ممّا هي الخبرة المعاشة إلى ما هو مكتوب. وأيضًا، هل إنّ مفهوم الوعي الإنسانيّ (Human conscience) هو فعلًا حقيقة شاملة

يمكن الاعتماد عليها أم أنّها مجرّد مفهوم فلسفيّ غربيّ؟ وما هو معيار صدقيّة (Authenticity) اللاهوتيّ؟

يستشهد بيڤانز باللاهوتيّة ماك فاغ التي تعتبر أنّ العمل اللاهوتيّ يخصّ كلّ ذاتيّة الإنسان المعاشة. كما يستشهد باللاهوتيّ الكوبيّ غونزاليس الذي يفكّر في أمر اللاهوت من منطلقه الإسبانيّ (Hispanic).

و - المفهوم المعاكس للثقافة (Countercultural model)

يخالف الإنجيل والكثيرُ من تعابيره تحكُّمَ الخبرة الإنسانيّة، المحيط، الثقافة، الوضع التاريخيّ، إلخ. إنّ هذا المفهوم (المعاكس للثقافة) يتناول المحيط بالكثير من الجدّيّة، وإن كان على الإنجيل التجسّد في محيط ما، فعليه أوّلًا تحدّي هذا المحيط وتطهيره، لا سيّما أنّ بعض الثقافات مخالفة بطبيعتها للإنجيل. يستوحي هذا المفهوم من التقليد النبويّ ومن إنجيل يوحنّا.

يذكّر بيڤانز أنّ هذا المفهوم معاكس للثقافة وهو ليس مضادًّا لها. فهو لا يريد أن يمحو المحيط وذلك لأنّه بحاجة إلى بعض مقوّماته لإيصال الرسالة الإنجيليّة. فالثقافة بحدّ ذاتها ليست بسيّئة ولكنّها تحمل علامات رفض الله. يهدف هذا المفهوم إلى التبشير بالكلمة مقابل «ثقافة الموت». فالمحيط ناقص بحدّ ذاته ومبهم. لكنّ ذلك لا يمنع كلمة الإنجيل من استعمال لغتها للدخول إليها، هذه الكلمة التي هي في الوقت عينه نعمة وحُكم.

إنّ إطار هذا المفهوم هو الإطار الغربيّ، وممارسو هذا المفهوم يعيشون كجماعة كنسيّة تتميّز عن العالم. هم يعتبرون أنّهم قادرون على حمل العالم على التوبة من خلال عيشهم الإنجيل. فطبيعة المحيط هي مخالفة للإنجيل بالأخصّ في الحضارة الغربيّة التي تركّز على الفرديّة (Individualism). على المسيحيّ رفض هذا العالم.

يكمن خطر هذا المفهوم في اعتبار العالم الغربيّ شيطانيّ وفي نزعة الانغلاق على الذات. فجامعيّة الكنيسة تدعو إلى الالتزام بهذا العالم لا إلى الانغلاق على الذات. ومشكلته الأخرى هي طابعه الثقافيّ الأحاديّ: فمعظم أعضاء الكنائس ممارسي هذا المفهوم هم من البيض ومن الطبقة الوسطى.

ثالثًا: قراءة نقديّة لما استطعنا تحديده عن مفهوم لاهوت السياق وعرض بعض الأفكار والاقتراحات التي منطلقها اللاهوتيّ السياقيّ شرقيّ لبنانيّ

يمكن هذه المفاهيمَ اللاهوتيّة أن تضع قارئ هذا المقال في حيرة. فأيّ نظرة أو أيّ مفهوم للاهوت السياق عليه أن يعتمد، خاصّة وأنّ بعض المفاهيم المختلفة تمامًا لا تخلو من العلميّة والمنطق. إنّ أهمّيّة عرض إشكاليّة لاهوت السياق التاريخيّة هي في إفهام القارئ ماهيّة هذا اللاهوت الذي عليه المسّ بالجماعات المسيحيّة كافّة، بالأخصّ في عصر العولمة هذا. فلاهوت السياق لا يركّز فقط على الفرادة المحلّيّة لدى الجماعة المسيحيّة لكن أيضًا على الهويّة الذاتيّة. وبالتالي على كلّ قراءة لأيّ نوع من لاهوت السياق أن تنطلق من هذا الواقع.

ينبغي للاهوتيّ اللبنانيّ أن يقرأ تاريخ لاهوت السياق وإشكاليّته انطلاقًا من محيطه اللبنانيّ الذي لن يمنعه من الغوص في مفهوم هذا اللاهوت ذاته. واستنادًا إلى الكثير من التيّارات الفلسفيّة الوجوديّة يمكننا القول إنّه لا تستطيع قراءة اللاهوتيّ اللبنانيّ إلّا أن تكون لبنانيّة لأنّ خبرته الوجوديّة ومحور حياته متأصّلان مبدئيًّا في المحيط اللبنانيّ. هذا لا يمنع انفتاحه على بيئات مختلفة أو حتّى إغناء تفكيره بخبرات الآخرين، لكنّ نظرته تبقى لبنانيّة. أمّا المشكلة الكبرى فهي أنّ اللاهوتيّ اللبنانيّ أحيانًا لا يتناول اللاهوت من منطلقه المحلّيّ، بل

يحاول تطبيق مفاهيم لاهوتيّة مستوردة وغريبة عن بيئته، ما يُحدث شرخًا كبيرًا بين العيش والتفكير. كان عنوان هذه الازدواجيّة عند بعض الكنائس: «الليتنة» الليتورجيّة والكنسيّة واللاهوتيّة والقانونيّة والروحيّة. وما زالت الكثير من الكنائس اللبنانيّة تعاني، وفي أغلب الأحيان من دون أن تعلم، هذه الازدواجيّةَ وكأنّ المفاهيم الغربيّة أشدّ مسيحيّة أو أشدّ أصالة من مفاهيم لاهوتيّة قد تنبع من المحيط الشرقيّ اللبنانيّ... إنّ الانفتاح على البيئات الأخرى والاستفادة منها واجب، وواجب أيضًا الحفاظ على الشخصيّة الذاتيّة المحلّيّة المتأصّلة في تقليد خاصّ وفي خبرة حياة فريدة.

لديّ من هذا المنطلق قراءتي اللاهوتيّة الشرقيّة اللبنانيّة للاهوت سياقيّ. عندما أقول شرقيّة أعني نظرة معيّنة إلى العالم، هي مسيحيّة لكنّها ليست بغربيّة، قوامها إرث عريق ومتنوّع جدًّا. وعندما أقول لبنانيّة أعني أنّ هذه القراءة اللاهوتيّة الشرقيّة تتجسّد في محيط معيّن وتأخذ شكلًا معيّنًا في زمان ومكان معيَّنَيْن.

بادئ ذي بدء، لدى القراءة الشرقيّة اللبنانيّة بعض الملاحظات على مفهوم لاهوت السياق كما تمّ عرضه. فلنبدأ بِزُورن:

يحدّد زورن لاهوت السياق انطلاقًا من التمييز بين مفهومَيْن: الماهيّة البروتستانتيّة والماهيّة الكاثوليكيّة. ورغم إذعانه لتداخل هذين المفهومَيْن أحيانًا فهو يطرحهما كأساس يمكن من خلاله تحديد لاهوت السياق (الذي يعتمد برأيه على الماهيّة البروتستانتيّة). إعتراضان أساسيّان بإمكان اللاهوتيّ اللبنانيّ توجيههما إلى زورن. أوّلًا: إنّ التكلّم على لاهوت سياقيّ لا يمكن أن يُحدّ بالماهيّة البروتستانتيّة. فبإمكان اللاهوت أن ينطلق من محيط معيّن من دون أن يتّبع حتمًا نهج الماهيّة البروتستانتيّة. هل يحرّم على اللاهوتيّ اللبنانيّ التفكير باتّجاه لاهوت السياق إن لم يعتمد على الماهيَّتَيْن الآنف ذكرهما؟ ثانيًا: من غير المقبول التكلّم على ماهيَّتَيْن في أساس الفكر اللاهوتيّ المعاصر

ووضع ماهيّة ثالثة جانبًا لا تقلّ أهمّيّة عنهما وأقصد بذلك الماهيّة الشرقيّة. فممّا لا شكّ فيه أنّ إشكاليّة الماهيّة الشرقيّة تفوق بتعقيدها الماهيَّتَيْن الأخرَيَيْن، وإن كان من السهل تحديد الماهيّة الكاثوليكيّة استنادًا إلى مركزيّة اللاهوت الكاثوليكيّ، وإن كان من غير الصعب تحديد الماهيّة البروتستانتيّة (لأنّ جذور الإصلاح رغم تنوّعه واضحة ومعروفة)، فإنّ تنوّع الكنائس الشرقيّة وأنواع اللاهوت الشرقيّ وتاريخ هذه الكنائس الحافل بالحروب والانقسامات والمهاترات والاضطهادات لا يسهّل هذا التحديد. وإن قلنا بوجود ماهيّة شرقيّة تضمّ ماهيّات فريدة ومتنوّعة، فمن الخطأ التفكير في لاهوت السياق بمنأى عن هذا الواقع، ليس فقط لأنّه يجعل مفهوم لاهوت السياق مبتورًا وناقصًا ويكون مجحفًا بحقّ الكنائس الشرقيّة، بل أيضًا لأنّه يمنع لاهوت السياق المعاصر من الإفادة من خبرة الكنائس الشرقيّة وتفكيرها. من هنا تكمن مشكلة تحديد زورن للّاهوت السياقيّ في عدم أخذه واقع الفكر اللاهوتيّ النابع من بيئة الكنائس الشرقيّة في الاعتبار.

تواجه القراءة اللبنانيّة لتحديد بيڤانز للاهوت السياق المشكلةَ ذاتها. فهو يعتمد ستّة مفاهيم تحدّد نظرته إلى لاهوت السياق، ونحن لا نجد في هذه المفاهيم الستّة أيّ مفهوم يعبّر تمامًا وتحديدًا عن المحيط الشرقيّ. نحن نعي تمامًا صعوبة التحدّث عن محيط شرقيّ واحد. إنّ المحيط المسيحيّ اللبنانيّ مختلف تمامًا عن المحيط المسيحيّ الفلسطينيّ الذي يتميّز بدوره عن المحيط المسيحيّ العراقيّ أو السوريّ أو المصريّ. فالعوامل السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة تولّد أطرًا مختلفة جدًّا أحيانًا، بالإضافة إلى الاختلاف الكامن بين الكنائس المختلفة من ضمن بلد واحد. فنحن هنا أمام خيارين: إمّا التكلّم على مفهوم لاهوتيّ شرقيّ للاهوت السياق وإمّا التكلّم على مفاهيم لاهوتيّة سياقيّة شرقيّة. قبل التطرّق إلى هذه المسألة عليّ القول إنّه رغم هذا الاختلاف، تطرح أرضيّات عديدة لوحدة ما للبيئات وللكنائس الشرقيّة. أذكر منها العيش في جوار الإسلام أو معه، إضافة

إلى الكثير من الجذور اللاهوتيّة المشتركة التي كلّما غصنا في قديم التاريخ فاضت. بإمكان اللاهوتيّ اللبنانيّ الإفادة من عمل بيڤانز إذ إنّ عرض مفاهيم مختلفة للاهوت السياق يغني ويوسّع تفكيره اللاهوتيّ، كما أنّه يمكّنه من وعي فرادة بيئته المختلفة عن البيئات المعروضة في كتاب اللاهوتيّ الأميركيّ. لكنّ الخطر يكمن في فهم المحيط اللبنانيّ كمحيط مشابه أو مطابق لأحد الأطر المعروضة أو للمفاهيم اللاهوتيّة المقترحة. إنّ المفهوم الذي يحاول بعض اللاهوتيّين اللبنانيّين الكاثوليك اعتماده هو مفهوم الانثقاف. لا شكّ في أنّ الانثقاف الذي يعبّر عن فكر الكنيسة الكاثوليكيّة الرسميّ جدير بالاحترام، فهو مفهوم لاهوتيّ شديد الجدّيّة والفعّاليّة. وجليّة هي الاستفادة التي يمكن الاعتماد عليها إذا طبّقنا أُسس هذا اللاهوت ضمن محيط معيّن. لكنّ هذا المفهوم اللاهوتيّ يبقى رغم جامعيّته ملتصقًا التصاقًا جذريًّا بالفكر الكنسيّ الكاثوليكيّ الرسميّ الذي هو رومانيّ، ورغم النوايا الطيّبة والحسنة كلّها، تبقى نفحته غربيّة وغريبة جدًّا أحيانًا عن الماهيّات الشرقيّة. أزيد على ذلك أنّ لاهوت السياق اللبنانيّ لا يمكنه اعتماد اللاهوت الكاثوليكيّ الرسميّ حصرًا لأنّ المحيط اللبنانيّ يضمّ كنائس غير كاثوليكيّة، وعلى لاهوت السياق أن يعنى بكلّ مقوّمات المحيط اللاهوتيّة.

هل بإمكاننا أن نعذر بيڤانز عن هذه الهفوة الكبيرة التي اقتضت عدم ذكر محيط عريق بأكمله، علمًا أنّ مفهوم لاهوت السياق بحدّ ذاته يمكنه الإفادة والاغتناء كثيرًا من الخبرة الشرقيّة الفريدة؛ بالأخصّ أنّ بيڤانز يجول في أربعة أقطار العالم محاولًا فهم تفاصيل مفاهيم لاهوت السياق؟ باعتقادي أنّه يتحمّل جزءًا من المسؤوليّة لأنّ التحرّي عن العالم الشرقيّ ليس اختياريًّا، بسبب ما للشرق من مكانة تاريخيّة عريقة في عالم اللاهوت. لكنّ جزءًا من المسؤوليّة يقع على عاتق الكنائس الشرقيّة وعلى لاهوتيّيها. فإن أراد بيڤانز أن يبحث عن إنجازات الشرق اللاهوتيّة وهو مَن يجهل اللغة العربيّة، لن يمكنه بسهولة إيجاد ما هو

مكتوب أو مترجم إلى ما يعرف بلغات اللاهوت الخمس. وإن افترضنا أنّه أتقن اللغة العربية وتوجّه إلى لبنان، لأمكنه الوقوع على بعض المحاولات اللاهوتيّة الجدّيّة التي ما زالت محدودة على مستوى أشخاص وليس على مستوى جماعات أو كنائس. فمعظم اللاهوت في لبنان يقضي بتكرار التقليد أو محاولة استيراد مفاهيم لاهوتيّة غربيّة. لم نرَ حتّى الآن ثمار لاهوت سياقيّ لبنانيّ في حياة الكنائس رغم بعض المحاولات الحاصلة ورغم النصوص المهمّة جدًّا التي تصدرها بعض سينودسات الكنائس. في حال أراد بيڤانز أو زورن أن يغوصا على عمل الكنائس الإرساليّ في لبنان وهما وضعا الإرساليّة في خضمّ بحثهما اللاهوتيّ السياقيّ، يكونان خائبين جدًّا. فباستثناء بعض الجماعات البروتستانتيّة، إنّ العمل الإرساليّ غائب عن حياة الكنائس في لبنان. لكنّ هذا كلّه لا يحدّ من أهمّيّة عمل بعض اللاهوتيّين اللبنانيّين الذين كتبوا الكثير في هذا الاتّجاه. منهم السعيدا الذكر الأبوان ميشال الحايك وجان كوربون، والمطرانان جورج خضر وجورج حدّاد. وحاليًّا يعمل بعض اللاهوتيّين في هذا السياق، ونحن نأمل أن يثمر عملهم على صعيد كنسيّ قد يعطي نوعًا من الحيويّة اللاهوتيّة التي تنقصنا في كنائسنا اللبنانيّة عامّة.

تحديد اللاهوت السياقيّ بخطوطه العريضة بحسب اللاهوتيّين الغربيّين يمكن أن يكون مرتكزًا للّاهوت السياقيّ اللبنانيّ. ففكرة لاهوت يعتبر المحيط عاملًا أساسيًّا للعمل اللاهوتيّ هي فكرة يمكن تطبيقها في كلّ محيط. أمّا فرادة كلّ محيط فهي تقضي بالطريقة المتّبعة لتفكير هذا اللاهوت وكتابته. في محيطنا اللبنانيّ المسيحيّ ستّة عوامل يجب الأخذ بها من أجل صنع لاهوت بيئيّ لبنانيّ:

أ - الحوار والحياة المسكونيّة. ممّا لا شكّ فيه أنّ الكنائس الشرقيّة أحرزت تقدّمًا ملحوظًا على مستوى المسكونيّة لكنّه غير كاف، فهو يقتصر في أغلب الأحيان على مسؤولي الكنائس من دون أن يطال في أغلب الوقت حياة الأبرشيّات والرعايا. فكم من

الكنائس تجهل الكثير عن حياة الكنائس الأخرى رغم المسافة الجغرافيّة الهشّة التي بينها. يقول اللاهوتيّ الألمانيّ هانس كونج (Hans Küng): لاهوت الألفيّة الثالثة إمّا أن يكون مسكونيًّا وإمّا ألّا يكون.

ب - حوار الأديان ولقاءُها. هو أساسيّ في بيئة يعيش فيها المسيحيّون بالقرب من المسلمين أو معهم. والإسلام كما يقول الأب ميشال الحايك هو من مسؤوليّة المسيحيّة الشرقيّة. ويجب الإضافة إلى ذلك أنّه مع تغيّر الوضع السياسيّ في المستقبل يجب أخذ الحوار مع الديانة اليهوديّة في الاعتبار.

ج - التحرير. كما المحيط العربيّ، كذلك المحيط اللبنانيّ بحاجة إلى التحرّر من الكثير من العوامل التي تعيق تحقيقَ الإنسانِ ذاتَه السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة.

د - التقليد. من إحدى مشكلات الحياة اللاهوتيّة في لبنان اقتصار العمل اللاهوتيّ أحيانًا على تكرار التقليد. فالتقليد هو عامل أساسيّ يجب أن نستوحي منه ونعيش روحه، لكنّ إشكاليّاته ولغته ليست بالضرورة إشكاليّاتنا ولغتنا الثقافيّة الحاضرة.

هـ - اللاهوت الغربيّ. العمل اللاهوتيّ لا يُختصر بترجمة أعمال لاهوتيّة غربيّة ومحاولة تطبيقها على المحيط اللبنانيّ. لكن من المجدي جدًّا الإفادة من الأعمال اللاهوتيّة الصادرة عن محيط مختلف.

و - اللغة. على اللاهوتيّ السياقيّ اللبنانيّ أن يكتب بلغة عربيّة متينة وسهلة بقدر الإمكان. كما يجب أن يكثر تعريب الأعمال اللاهوتيّة من أجل إغناء المكتبة اللاهوتيّة العربيّة، وأيضًا ترجمة الأعمال اللاهوتيّة اللبنانيّة إلى اللغات العالميّة من أجل إشراك الآخرين بخبرتنا الفريدة والتفاعل معهم.

هذه المبادئ ليست بعقائديّة وهي ما زالت إلى هذا الحدّ وحتّى إشعار آخر من باب الاقتراح، لعلّنا نقوم لاحقًا بدراسة تفصّل تصوّرنا

للاهوت سياقيّ لبنانيّ. لكنّنا نعتقد أنّ لاهوت السياق اللبنانيّ لا يمكنه إلّا أن يفيد إيجابًا حياة الكنائس في لبنان وربّما أيضًا وجود المسيحيّين في هذا البلد والدور الذي عليهم الاضطلاع به على أصعدة كثيرة، وطنيّة أوّلًا، وعربيّة وعالميّة ثانيًا.

قراءة في كتاب عربيّ حديث

وقبل ختام هذا البحث المقتضب، أرى من المناسب ذكر عمل لاهوتيّ حديث فيه عدّة مقوّمات للاهوت سياقيّ لبنانيّ. أتكلّم على كتاب الأب مشير عون: «محنة الإيمان...»(٦).

ما استوقفني في هذا البحث اللاهوتيّ بدايةً هو التكلّم على الخبرة الإيمانيّة الوجوديّة واعتبارها أساسًا. فمسألة اللاهوت ليست حكرًا على حقيقة أنطولوجيّة خارجة عن التاريخ، لكنّها في صلب وجود الإنسان. وما التكلّم عن الوجوديّة إلّا إذعانًا لأهمّيّة المحيط الأوّليّة، لأنّ وجود الإنسان ما هو إلّا مجموع قراراته التي يتّخذها في تاريخه الشخصيّ المرتهن حتمًا لمحيطه. بالرغم من النفحة الهيدغريّة وحتّى البولتمانيّة في فكر عون، فإنّ الأسس الفلسفيّة التي يحدّدها كمنطلق لإشكاليّة اللاهوت تناسب تمامًا إشكاليّة لاهوت سياقيّ لبنانيّ.

يتناول عون عدّة مسائل لاهوتيّة وفلسفيّة من منطلق المفكّر الشرقيّ. فبإمكانه التحدّث عن توما الأكوينيّ وعن لوتر أو عن الفلسفة الوجوديّة والعلمنة من دون أن يكون عمله اللاهوتيّ ترجمة لهذه المفاهيم أو تلك ومن غير أن ينزلق إلى نوع من الأقلمة الفكريّة. بالرغم من تناوله إشكاليّات غربيّة، يبقى منطقه وخطابه شرقيّين. لاهوت السياق بحاجة إلى الانفتاح الواسع ليكوّن ذاته، فمعرفة الذات تمرّ حتمًا بالآخر ولكن من دون الذوبان في الآخر. بالإمكان التكلّم

---

(٦) الأب مشير عون، **محنة الإيمان. إجتهادات في الفكر الدينيّ المسيحيّ**، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٥.

على الكنائس الشرقيّة بخطاب رومانيّ، ما يغرّب اللاهوتيّ اللبنانيّ عن محيطه، كما أنّه بالإمكان تناول لاهوتيّين بروتستانت ألمان والبقاء ضمن إطار فكريّ شرقيّ أصيل. فما يحدّد سياقيّة لاهوت معيّن ليس حتمًا المواضيع المتناولة، بل المنطلق الذي يُتناول الموضوع على أساسه.

أريد أن أتوقّف على ثلاث نقاط يعالجها مشير عون.

أ - مسألة الحوار، وقد ذكرتها كمقوّمة أساسيّة للاهوت السياق اللبنانيّ. من المؤسف أن ترى أنّ أغلبيّة الأدب اللاهوتيّ اللبنانيّ (الذي يندر فيه البحث العقائديّ) لا يتناول الإسلام ولا يحاور العلمنة أو حتّى الإلحاد على نحوٍ جدّيّ وعلميّ بعيدًا عن الدفاعيّة (Apologétique). يدخل عون بحوار جدّيّ مع الإسلام ويحاول فهمه بذاته قبل اقتراح لغة لاهوتيّة تأخذه بالاعتبار وتحترم خصوصيّته. وجدير التوقّف عند قراءته اللاهوتيّة لشخص إبراهيم الذي ليس أبا الأديان الثلاثة الكبرى فقط أي منطلقًا ممكنًا للتلاقي، لكنّه أيضًا شخص ذو خبرة إيمانيّة علمانيّة خارجة عن الإطار الدينيّ أيضًا.

ب - لاهوت الميلاد. هنا يطرح عون أربعة أُسس يمكن الانطلاق منها لبناء لاهوت عربيّ: أ - التحرّر «من مقولات الإغريق العتيقة»، ب - اعتماد «لغة أهل العصر الناشطة في تحرّيات الفكر الإنسانيّ الحديث»، ج - مخاطبة «الإنسان العربيّ في صميم معاناته الوجوديّة»، د - احترام «روحيّة الشركاء المسلمين في إصرارهم المستمرّ على ضرورة التنزيه الإلهيّ»[(٧)]. هنا أيضًا نجد مقوّمات أخرى للاهوت سياقيّ. فاللغة اللاهوتيّة الغربيّة ليست حتميّة، وبالإمكان اعتماد خطاب لاهوتيّ يستعين بلغة مختلفة مبنيّة على حاضر الحياة الإيمانيّة، ضمن بيئة معيّنة في زمان

(٧) عون، **مرجع سابق**، ص ١٢٧.

ومكان معيّنين، ضمن ظروف معيّنة وفي وجود معيّن مع الآخر. ربّما نقطة خلافي الوحيدة مع عون على هذا الصعيد هي في التحدّث عن لاهوت عربيّ، وهو ليس الوحيد أو الأوّل في هذا المضمار (أذكر على سبيل المثال لا الحصر جان كوربون وفادي ضوّ). لا شكّ أنّ لاهوتًا سياقيًّا لبنانيًّا هو حتمًا عربيّ من خلال انتماء لبنان إلى العالم العربيّ على أصعدة عدّة، ولكنّي أرى أنّ للبنان فرادة في العالم العربيّ وأنّ إشكاليّات الوجود المسيحيّ والإيمان المسيحيّ مختلفة عن الإشكاليّات التي يمكن التقاؤها في بيئات عربيّة أخرى. ربّما بالإمكان التحدّث عن مبادئ عامّة للاهوت عربيّ ولكنّي لا أعتقد أنّ لاهوتًا عربيًّا شاملًا يمكنه تناول الإشكاليّات اللاهوتيّة اللبنانيّة والعراقيّة والمصريّة في الوقت عينه. فإن كان لاهوت السياق اللبنانيّ عربيًّا فلاهوت عربيّ شامل لا يناسب حتمًا المحيط اللبنانيّ.

ج - لاهوت القيامة. يتجنّب عادة اللاهوتيّ اللبنانيّ الانزلاق إلى اللاهوت السياسيّ، ومردّ ذلك إلى أسباب عدّة منها تاريخيّة ومنها سياسيّة، ليس لدينا الوقت للتكلّم عليها الآن. ونتيجة لذلك لا يتدخّل اللاهوت في غالب الوقت بالواقع السياسيّ، وهو الذي عليه قول كلمة الحقّ والوقوف في وجه الاستبداد والظلم من دون أن يصبح سياسة. ينسى أو يتناسى بعضنا أنّ المسيح، الذي ليس برجل سياسة، قد مات ميتة سياسيّة. على مسألة الإيمان الوجوديّة تناوُل سائر مقوّمات الوجود، وفي المحيط هذا الشأن يخصّ السياسة أيضًا. يعتقد عون، عند تناوله لاهوت القيامة، أنّه يجب التخفيف من التمسّك «بلاهوت الهويّة الإلهيّة» وأن يُفرط «في الاستمساك بلاهوت النضال الإنسانيّ»[٨]. وهكذا ينتقل مفهوم القيامة من اللاهوت إلى السياسة، من الانتصار على الموت إلى «الانتصار على التفسّد

(٨) عون، م.س.، ص ١٤٩.

السياسيّ». ليس للاهوت من ضمن المحيط فائدة إن بقي في الغيبيّات أو في الإبهام. عليه مخاطبة الواقع المحلّي لدى المؤمن و«يجوز اعتبار القيامة الروحيّة قاعدة للقيامة السياسيّة في لبنان، إذ حين ينتصر اللبنانيّون على مفاسد نوازعهم الباطنة، يُقبلون إلى مؤتلف سياسيّ متين الأصول، سليم البناء، بهيّ العمارة»(٩).

* * * * *

هذه المقالة ما هي إلّا محاولة توضيح للاهوت السياق، أردت من خلالها عرض بعض الأفكار التي تدور على هذا المفهوم اللاهوتيّ. لست الأوّل في هذا المضمار وقد تعلّمت وما زلت أستوحي من كثيرين قد سبقوني في هذا الحقل. مشروعي هو الإسهام في بناء لاهوت سياقيّ لبنانيّ يجعل من هذا ذالوطن أكثر من جسر بين الشرق والغرب، وأكثر من مختبر لخلط الوصفات اللاهوتيّة المختلفة تاريخًا ومحيطًا. أمنيتي أن يكون اللاهوت في لبنان محجًّا للآخرين ونبعًا حيًّا للفكر المسيحيّ الشرقيّ العربيّ، مجدًا للقائم من بين الأموات.

(٩) عون، م.س.، ص ١٥٢.